Semiotics of the title in the short story collection (Tales of the Migrant Seagull) by the author Haider Haider

Mirna Ahmad[*]
Dr. Fatima ballah [**]
Dr. Safwan Salloum[***]

(Received 12 / 8 / 2025. Accepted 21 / 1 / 2026)

□ ABSTRACT □

The semiotics of the title is an important issue that has preoccupied critics. The title is the gateway to the text, an integral part of its content, and the primary threshold for understanding the text and entering its world. One cannot begin analyzing a short story without first examining and analyzing the structure of the title, which is the interface that reveals the text's connotations and plays a semiotic and aesthetic role. This research aims to examine the semiotics of the title in the short story collection (Tales of the Migrant Seagull) by Haidar Haidar. In the theoretical aspect, it reviews the concept of semiotics and its origins. It then moves to the concept of the title, its importance, functions, and types, as a linguistic and cultural sign that defines the identity of the text. Then, in the applied aspect, it addresses the interactive relationship between the title and the cover, to clarify the importance of integration between linguistic and visual elements. After that, it delves into the levels of the title that work to attract the reader to the text and provide him with indications to reveal aspects of the content, focusing on the relationship between the main title and the subtitles, clarifying the semantic links between these titles. Through a semiotic analysis of the title, the author's vision and the context in which the text was produced can be revealed.

Key words: Title, semiotics, connotation, cover, threshold.

Copyright **:**Latakia University journal (formerly tishreen) -Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

[*]**Phd student, Department of Arabic Language, Latakia University(formerly tishreen) ,Syria.**
[**]**Associate professor, Department of Arabic Language, Latakia University(formerly tishreen) , Syria.**
[***]**Associate professor, Department of Arabic Language, Latakia University(formerly tishreen) , Syria.**

سيميائيّةُ العنونةِ في المجموعةِ القصصيّةِ (حكايا النّورسِ المهاجرِ) للكاتبِ حيدر حيدر

ميرنا أحمد*

د. فاطمة بلّة**

د. صفوان سلّوم***

(تاريخ الإيداع 12 / 8 / 2025. قبل للنشر في 21 / 1 / 2026)

ملخّص

تعدُّ سيميائيّةُ العنوانِ من القضايا المهمّةِ الّتي شغلت النّقّادَ، فالعنوانُ بوّابةُ النّصّ، وجزءٌ لا يتجزّأ من فحواه، والعتبةُ الرّئيسة لفهم النّصِّ والدّخولِ إلى عالمه، إذ لا يمكن المباشرة في تحليلِ القصّة القصيرة إلّا بعد الإشارة إلى بنية العنوان وتحليلها، فهي الواجهة الّتي تفصح عن دلالات النّصّ وتؤدّي دوراً سيميائيّاً وجماليّاً.

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على سيميائيّة العنونة في المجموعةِ القصصيّة (حكايا النّورس المهاجر) للكاتب حيدر حيدر، فيستعرض في الجانب النّظري مفهوم السّيميائيّة ونشأتها، ثمّ ينتقلُ إلى مفهوم العنوان وأهمّيّته ووظائفه وأنواعه، بوصفه علامة لغويّة وثقافيّة تحدّد هويّة النّصّ، ثمَّ يتطرّق في الجانب التّطبيقيّ إلى العلاقة التّفاعليّة بين العنوان والغلاف، لتوضيح أهمّيّة التّكاملِ بين العناصر اللّغويّة والبصريّة، بعد ذلك يتعمّقُ في مستويات العنوان الّتي تعمل على جذب القارئ للنّصّ، وتمنحه دلالات للكشف عن جوانب من المضمون، مركّزاً على العلاقة بين العنوان الرّئيس والعناوين الفرعيّة موضّحاً الرّوابط الدّلاليّة بين هذه العناوين، فمن خلال تحليل العنوان سيميائيّاً يمكن الكشف عن رؤية المؤلّف، والسّياق الّذي أُنتجَ فيه النّصّ.

الكلمات المفتاحيّة: العنوان، السّيميائيّة، الدّلالة، الغلاف، العتبة.

حقوق النشر : مجلة جامعة اللاذقية (تشرين سابقاً)– سوريا، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

* طالبة دكتوراه، قسم اللّغة العربيّة، جامعة اللّاذقيّة(تشرين سابقاً)، سوريا mirna2741994@gmail.com

** أستاذ مساعد، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، قسم اللّغة العربيّة، جامعة اللّاذقيّة(تشرين سابقاً)، سوريا.

*** أستاذ مساعد، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، قسم اللّغة العربيّة، جامعة اللّاذقيّة(تشرين سابقاً)، سوريا.

مقدّمة:

اهتمّ النّقّاد ودارسو السّيميائيّة بالعتبات النّصّيّة الّتي تعدّ خطاباً موازياً للنّصّ الأدبيّ، وتتكوّن من: العنوان واسم المؤلّف، والغلاف، والإهداء والمقدّمة والخاتمة وكلمة النّاشر، وغير ذلك من العناصر المحيطة بمتن النّصّ.

كتاب (حكايا النّورس المهاجر) هو مجموعة قصصيّة مؤلّفة من تسع قصص، كلّ قصّة منها تحمل عنواناً، وتسرد حكاية نثريّة هدفها تقديم حدثٍ ما ضمن مدّة زمنيّة قصيرة ومكان محدَّد، فتعبّر عن موقف أو جانب من جوانب الحياة، وتعدُّ القصَّة القصيرة من الفنون الحديثة العهد، "فهي لونٌ من ألوان الأدب الحديث ظهرَ في أواخر القرن التاسع عشر وله خصائصُ ومميزاتٌ شكليةٌ معيّنةٌ". [1]

يشكّل العنوان نقطة انطلاق إلى المتن القصصيّ، وقد احتلّ موقع الصّدارة بين العتبات النّصّيّة؛ كونه المفتاح الأساس للكشف عن أسرار النّصّ، وحظي باهتمام الدّراسات السّيميائيّة؛ لأنّه يتكوّن من بنية سطحيّة وبنية عميقة فهو كالنّصّ تماماً.

أهمّيّة البحث وأهدافه:

تكمن أهمّيّة هذا الموضوع في كونه يتماشى مع الدّراسات الحديثة الّتي تتّخذ من العنوان عتبة أساسيّة للدّخول إلى النّصوص، والكشف عن جماليّة هذا العنوان الرّئيس ومدى تأثيره في المتلقّي، بالإضافة إلى تفرّد الكاتب باختيار عناوين قصصه.

لا تستهدف هذه الدّراسة البناء القصصي بل تركّز على العنوان؛ كونه مفتاحاً للدّخول إلى النّصّ، ومليئاً بدلالات ورموز تتعدّد قراءاتها بحسب فهم كلّ باحث لها.

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن الدّلالات الّتي ينطوي عليها العنوان (حكايا النّورس المهاجر)، ومدى ارتباطه بالغلاف، والمستويات الّتي يتكوّن منها العنوان الرّئيس، وعلاقته بالعناوين الفرعيّة، وإثبات أنّ اختيار الكاتب لهذه العناوين لم يكن اعتباطيّاً، بل يعكس دلالة النّصّ، ويوحي بها.

أمّا منهج البحث فقد استند البحث إلى المنهج الوصفي وأدواته الإجرائيّة في قراءة عنوان هذه المجموعة مستعيناً بالآليّات السّيميائيّة؛ لتحليل العلامات والرّموز وطريقة تأثيرها في النّصّ والقارئ.

أوّلاً: مفهوم السّيميائيّة:

السّيميائيّة لغةً: جاء في معجم "مقاييس اللّغة" لابن فارس (ت395هـ): "وسم: الواو والسّين والميم: أصلٌ واحدٌ يدلُّ على أثَر ومَعْلَم. ووسَمْتَ الشّيءَ وَسْماً: أثَّرتُ فيه بِسِمة. والوَسميُّ: أوَّلُ المطرِ، لأنَّهُ يسِمُ الأرضَ بالنّباتِ"[2]

يتمثّل مفهوم (الوسم) في عمليّة إحداث الأثر الدّالّ الّذي يحوّل الظّاهرة إلى إشارة قابلة للقراءة.

وجاء في "أساس البلاغة" للزّمخشريّ (ت538هـ): "سوَّم فرسَه: أعلمه بسَوْمة، وهي العلامة"[3]

يؤكّد هذا التّعريف أنّ (السّومة) أو العلامةَ نتاجُ فعلٍ قصديّ، غايته التّعيين أو الإشهار.

---

[1] رشدي، د. رشاد: فنّ القصة القصيرة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط1، 1959م، ص1.

[2] ابن فارس، أبو الحسين أحمد: مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للنّشر والتّوزيع، لبنان، بيروت، 1979م، (وسم).

[3] الزّمخشري، أبو القاسم: أساس البلاغة، تحقيق محمّد باسل عيون السود، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1998، (سوم).

أمّا في "لسان العرب" لابن منظور (ت 711هـ) فمعنى لفظة سيمياء: "السَّومَة، والسِّيمَة، والسّيماء، والسِّيمِياء: العلامة. وسوَّم الفرس: جعل عليه السِّيمة..."[4]

بناءً على التّعريفات السّابقة يمكن القول: إنّ معاني لفظة "السيمياء" تدور حول العلامة.

أمّا اصطلاحاً فقد جاء في (معجم السّيميائيّات)؛ السّيميائيّة هي "علم الإشارات أو علم الدّلالات وذلك انطلاقاً من الخلفيّة الابستيمولوجيّة الدّالّة حسب تعبير غريماس على أنّ كلّ شيء حولنا في حالة بثّ غير منقطع للإشارات. فالمعاني (والمعاني محصّلة للإشارات المجتمعة) لصيقة بكلّ شيء... وهي عالقة بكلّ الموجودات..."[5]

لقد جعل مؤلّفُ موسوعة علم الإنسان للسيميولوجيا والسّيميوطيقا تعريفاً واحداً، وهو "علم العلامات، أو السّلوك المستخدم للعلامة، وينطوي على دراسة كلّ من الاتّصال اللّغوي وغير اللّغوي... ".[6]

وعدَّ سعيد علّوش السّيميائيّة "دراسةً لكلّ مظاهر الثّقافة، كما لو كانت أنظمة للعلامة، اعتماداً على افتراض مظاهر الثّقافة، كأنظمة علامات في الواقع"[7]

ممّا سبق يمكن القول إنّ السّيمياء تهدف إلى دراسة الرّموز والبحث في علاقة هذه الرّموز بالمعاني الّتي تشير إليها.

أمّا نشأة السّيمياء فتعود إلى تيّارين؛ الأوّل لسانيّ ويمثّله فردينان دو سوسير، والثّاني فلسفيّ ويمثّله تشارلز ساندرز بيرس، فعرّف سوسير السّيمياء بأنّها علم يدرس حياة العلامات في الحياة الاجتماعيّة، ويبيّن قوام العلامة والقوانين الّتي تسيّرها، أمّا بيرس فقد عدَّ المنطق بمعناه العامّ اسماً آخر للسّيمياء، وهكذا اتّفق العالمان على خلق علم للعلامات باسم السّيمياء، والتّسليم بأنّ العلامات تعمل كنظام شكليّ، لكن بعد ذلك اختلفا في أمور عدّة؛ فسوسير جعل للعلامة وجهين، في حين أنّ بيرس جعلها من ثلاثة وجوه، فأدّت النّشأة المزدوجة (لسانيّة وفلسفيّة/ منطقيّة) للسّيمياء إلى تطوّر هذا العلم في اتّجاهات متباينة. فالسّيميائيّون اليوم غير متوافقين لا على غرض هذا العلم ولا على مناهجه، ولا على اسمه، فهناك اليوم مصطلحان متداولان في الفرنسيّة هما Sémiologie وَ Sémiotique فمن السّيميائيّين من يستخدم أحدهما دون الآخر، ومنهم من يستخدم المصطلحين بمعنى واحد.[8]

وقد توسّع الحقل السّيميائيّ فيما بعد بسبب تداخله مع مجموعة من العلوم والمعارف الإنسانيّة الأخرى.

ثالثاً: مفهوم العنوان:

لغةً: جاء في معجم مقاييس اللّغة في مادّة (عنى): "العين والنّون والحرف المعتلّ أصولٌ ثلاثة: الأوّلُ القَصْد للشّيء بانكماشٍ فيه وحِرْصٍ عليه، والثّاني دالٌّ على خضوع وذُلّ، والثّالثُ ظهور شيءٍ وبروزُهُ...والأصلُ الثّالثُ: عُنْيان الكِتابِ، وعُنوانهُ، وعُنيانه. وتفسيره عندنا أنّه البارزُ منهُ إذا خُتِمَ..."[9]

---

[4] ابن منظور الإفريقيّ المصري، جمال الدّين محمّد بن مكرم: لسان العرب، تحقيق: عبداللّه علي الكبير وَ محمّد أحمد حسب اللّه وهاشم محمّد الشّاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1980م، (سَوَم).

[5] الأحمر، فيصل: معجم السّيميائيّات، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، وَمنشورات الاختلاف الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2010م، (السيميائيّة).

[6] سميث، شارلوت: موسوعة علم الإنسان، المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجيّة، ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمّد الجوهري، المركز القومي للتّرجمة، القاهرة، مصر، العدد: 2/61، ط2، 2009، (السّيميولوجيا، السّيميوطيقا).

[7] علّوش، د.سعيد: معجم المصطلحات الأدبيّة المعاصرة، دار الكتاب اللّبنانيّ، بيروت، لبنان، ط1، 1985م، (السّيميائيّة).

[8] ينظر، زيتوني، د. لطيف: معجم مصطلحات نقد الرّواية، مكتبة لبنان ناشرون، دار النّهار للنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، (سيمياء).

[9] ابن فارس، أبو الحسين أحمد: مقاييس اللّغة، (عنى).

وجاء في لسان العرب في مادّة (عنن): "عنَنْتُ الكتابَ وأعنَنْتُه لكذا؛ أي: عرّضتُه لهُ وصرَفتُه إليه. وعنَّ الكتابَ يعُنُّهُ عنًّا وعنَّنَهُ كعنوَنَهُ، وعَنْوَنتُهُ وعلوَنتُهُ بمعنىً واحدٍ، مشتقّ من المَعنى. وقال اللّحيانيّ: عَنَّنتُ الكتابَ تَعنيناً، وعنّيتُهُ تَعنِيَةً، إذا عنونتَهُ، أبدلوا من إحدى النّونات ياءً، وسُمّيَ عُنواناً لأنّهُ يَعُنُّ الكتابَ من ناحيَتيهِ".[10]

وفي مادّة (علَنَ): "عَلِنَ يُعلِن علَناً وعلانيَةً فِيهِما، إذا شاعَ وظَهَرَ... وعُلوانُ الكتابِ: يجوزُ أن يكونَ فِعلُهُ فَعْوَلتُ من العلانيَة. يُقالُ: عَلوَنتُ الكتابَ إذا عنونتُه. وعُلوانُ الكِتابِ: عُنوانُه"[11]

أمّا في مادّة (عنا): "فعنوانُ الكِتابِ: مُشتقٌّ فيما ذكروا من المعنى، وفيهِ لغاتٌ: عنوَنتُ وعنّنْتُ وعنَّيتُ. وقالَ الأخفشُ: عنَوتُ الكِتابَ، واعْنُهُ...وقالَ ابن سِيدَه: العُنوانُ والعِنوانُ سِمَةُ الكِتابِ. وعنوَنَهُ عنْوَنَةً وعِنواناً، وعَنّاهُ، كلاهما: وَسَمَهُ بالعُنوانِ. وقالَ أيضاً: والعُنْيَانُ سِمَةُ الكِتابِ، وَقد عنّاهُ وأعناهُ، وعَنونتُ الكتابَ وعلوَنتُه. قال يعقوب: وسمعتُ مَن يقولُ أطِنْ وأعِنْ؛ أي: عنْوِنْهُ واختِمهُ. قال ابن سِيده: وفي جبهتِهِ عُنوانٌ من كَثرةِ السّجودِ؛ أي: أثَرٌ".[12]

فالدّلالات الّتي يمكن استنتاجها من هذه التّعريفات هي الظّهور والعلانية من (علنَ)، والسّمة والأثر من (عنا)، والقصد من (عنن).

اصطلاحاً: عُرّف العنوان في معجم المصطلحات الأدبية بأنّه: "مقطع لغويّ، أقلّ من الجملة، نصّاً أو عملاً فنيّاً"[13]

وجاء في معجم مصطلحات نقد الرّواية: "هو الاسم الّذي يميّز الكتاب بين الكتب، كما يتميّز الإنسان باسمه بين النّاس. والعنوان يكون للكتاب، وقد يكون للفصول داخل الكتاب. ولكن عنونة الفصول ليست مطّردة في الرّوايات، وهي تكاد تغيب في المسرحيّات وفي دواوين الشّعر. يتميّز العنوان اليوم بالإيجاز، وقد يلجأ الكاتب إلى عنوان فرعيّ للتّوضيح، أمّا العناوين الطّويلة فغالباً ما يختصرها النّاس في كلامهم وفي إشاراتهم المكتوبة. واختيار العنوان لا يتمّ عفو الخاطر فهو مسألة تحتاج إلى نظر وتدقيق بسبب تركيبه وطبيعة المادّة الّتي يتألّف منها".[14]

يعدّ لوي هويك من أبرز المؤسسّين الفعليّين لعلم العنونة في كتابه "سمة العنوان"، وقد عرّف العنوان بأنّه: "مجموعة العلامات اللّسانيّة، من كلمات وجمل، وحتّى نصوص، قد تظهر على رأس النّصّ لتدلّ عليه وتعينه، تشير لمحتواه الكلّيّ، ولتجذب جمهوره المستهدف".[15]

يؤكّد جيرار جينيت أنّ العنوان "من بين أهمّ عناصر المناصّ (النّصّ الموازي)، لهذا فإنّ تعريفه يطرح بعض الأسئلة ويلحّ علينا في التّحليل، فجهاز العنونة كما عرّفه عصر النّهضة أو قبل ذلك، العصر الكلاسّيكي كعنصر مهمّ، كونه مجموع معقّد أحياناً أو مربك/ وهذا التّعقيد ليس لطوله أو قصره، ولكن مردّه مدى قدرتنا على تحليله أو تأويله"،[16]فهو بذلك يستصعب تعريف العنوان؛ نظراً لصعوبة تحديده.

فالعنوان إذن علامة لغويّة متموضعة في واجهة النّصّ، تكشف عنه وتعرّف به.

رابعاً: أهمّيّة العنوان ووظائفه وأنواعه:

---

[10] ابن منظور، جمال الدّين: لسان العرب، (عنن).

[11] المصدر نفسه، (علن).

[12] المصدر نفسه، (عنا)

[13] علّوش، سعيد: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص155

[14] زيتوني، د. لطيف، معجم مصطلحات نقد الرّواية، (العنوان)

[15] بلعابد، عبد الحقّ: عتبات (جيرار جينيت من النّصّ إلى المناصّ)، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، وَمنشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2008م، ص67، نقلاً عن:

L. Hoek, La marque du titre, dispositifs semiotiques d une pratique textuelle, La Haye mouton, Paris, 1981.

[16] بلعابد، عبد الحقّ: عتبات (جيرار جينيت من النّصّ إلى المناصّ)، ص65.

إنّ الموقع المكاني للعنوان يمنحه أهمّيّة خاصّة لا يمكن إغفالها، فهو النّصّ الموازي للنّصّ الأصليّ، وقد حظيت العناوين بعناية كبيرة في الدّراسات السّيميولوجيّة؛ كونها من الآليّات الأساسيّة، وعلى الباحث أن يتقن قراءتها وتفسيرها؛ لأنّ الحقل السّيميائيّ يهدف إلى إبراز المعاني الخفيّة، فدراسة العنوان سيميائيّاً في الدّراسات النّقديّة الحديثة والمعاصرة من مستجدّات العصر ومتطلّباته، فالعنوان مرتبط بالنّصّ ولا يمكن الفصل بينهما خاصّة على المستوى التّحليليّ؛ لأنّ العنوان يطرح تساؤلات لا يمكن الإجابة عنها إلّا بعد قراءة النّصّ.[17]

وللعنوان ارتباط كبير بعناصر الرّواية كلّها "فعلاقة العنوان والنّصّ مرهونة بفعل القراءة لأنّه لا يمكن أن نفهم النّصّ إلّا عن طريق القراءة، والّتي اهتمّت بهذا المجال نظريّة القراءة، وسمّيت بفضل المدرسة الألمانيّة (كونستانس) بجماليّة القراءة أو التّلقّي، وتفصح هذه النّظريّة عن أنّ علاقة المؤلّف والنّصّ غير كافية لفهم أغوار النّصّ بل يتعدّى ذلك"[18] فنظريّة التّلقّي تهتمّ بعلاقة النّصّ بالقارئ، فعمليّة القراءة هي الّتي تشكّل النّصّ من جديد.

أمّا وظائف العنوان فقد اختزلها جيرار جينيت في الوظيفة التّعيينيّة (التّعريفيّة) الّتي تعيّن اسم الكتاب فتعرّف القرّاء به، والوظيفة الوصفيّة الّتي يقدّم العنوان عن طريقها شيئاً ما عن النّصّ، والوظيفة الإيحائيّة المرتبطة بالوظيفة الوصفيّة، ففي كلّ ملفوظ لها طريقتها في الوجود، لكنّها ليست دائماً قصديّة، فالأفضل أن نقول قيمة إيحائيّة لا وظيفة، والوظيفة الإغرائيّة الّتي تغرّر بالقارئ، فتحدث تشويقاً وانتظاراً لديه.[19]

وقد أضاف النّقّاد والباحثون وظائف كثيرة للعنوان وظائف كثيرة يصعب علينا حصرها في العمل الأدبي: "فمن وظيفة تأسيسيّة، إلى إغرائية، إلى انفعالية، إلى اختزالية تكثيفية، ناهيك بأنّ قراءة العنوان في دلالته على مابعده، تختلف من حيث كونه عنواناً لكتاب علميّ أو أدبيّ أو تاريخيّ، إلى كونه عنواناً لبحث أكاديمي إلى كونه عملاً إبداعياً. وهنا نجد فرقاً بين عنوانات الأجناس الأدبية نفسها: رواية، قصة، مسرحية، شعر..." [20]

أمّا أنواع العنوان فقد اختلف الباحثون في تقسيماتها وتسمياتها، وفيما يأتي مختلف هذه العناوين الّتي اعتُمِدَ في أغلبها على تقسيمات جينيت، فقسّمها إلى: [21]العنوان الرّئيسيّ، والعنوان الفرعي الشّارح والمفسّر للعنوان الرّئيس، والمؤشّرات الجنسيّة الّتي تحدّد طبيعة الكتاب؛ أي: تلك الكتابة الّتي نجدها تحت العنوان مثل (رواية، قصص، تاريخ، مذكّرات...). وبعد هذا التّأطير النّظريّ لمفهوم السّيميائيّة والعنوان يمكن الانتقال إلى تحليل عنوان هذه المجموعة تحليلاً سيميائيّاً، وسبر أغواره للوصول إلى دلالات النّصّ.

الدّراسة التّطبيقيّة:

يعدّ العنوان في القصّة القصيرة ناطقاً باسمها، وكاشفاً عن فحواها لذلك لا بدّ من الوقوف عليه وتحليله للوصول إلى أغراض الكاتب الخفيّة، "وتنصبّ دراسة العنوان على قيمته (الصّوتيّة والدّلاليّة والتّصويريّة)، وعلى علاقاته بالقارئ

[17] ينظر، فانزة، مهاجي: سيميائيّة العنوان ودلالته في القصّة القصيرة نهاية لحفناوي زاهر أنموذجاً، مجلّة التّعليميّة، مختبر تجديد البحث في تعليميّة اللّغة العربيّة في المنظومة التّربويّة الجزائريّة، كليّة الآداب واللّغات والفنون، جامعة جيلالي ليابس- سيدي بلعباس، الجزائر، المجلّد:5، العدد: 2، 2015م، ص56-57.

[18] فانزة، مهاجي: سيميائيّة العنوان ودلالته في القصّة القصيرة نهاية لحفناوي زاهر أنموذجاً، ص57.

[19] ينظر، بلعابد، عبد الحقّ: عتبات (جيرار جينيت من النّصّ إلى المناصّ)، ص86-88، نقلاً عن:
G. Genette, Seuil, Du Seuils, paris, 1987, p95-96,

[20] قطوس، بسّام: سيمياء العنوان، وزارة الثّقافة، عمان، الأردن، ط1، 2001م، ص52

[21] ينظر، بلعابد، عبد الحقّ: عتبات (جيرار جينيت من النّصّ إلى المناصّ)، ص68

(ماذا يعني له، بمَ يذكّره، كيف يتلقّاه، كيف يتصرَّف به تلفّظاً واختصاراً)، وعلاقاته بنصّ الرّواية، وبعناوين روايات المؤلّف نفسه، أو النّوع الرّوائيّ نفسه، أو العصر نفسه".[22]

من هنا يمكن الانطلاق إلى تحليل عنوان هذه المجموعة القصصيّة (حكايا النّورس المهاجر) ودراسة مستوياته وعلاقته بالعناوين الفرعيّة، ولكن قبل ذلك لابدّ من التطرّق إلى دراسة العلاقة الّتي تربط هذا العنوان بالغلاف.

أوّلاً: علاقة العنوان بالغلاف:

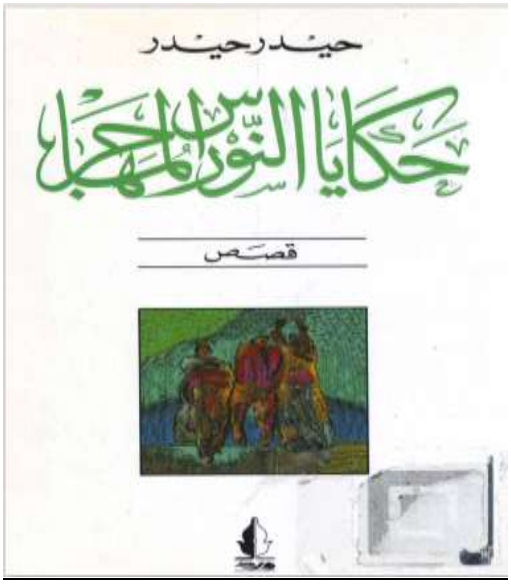

الشكل رقم (1) صورة الغلاف الأمامي للمجموعة القصصيّة

إنّ غلاف الكتاب هو أوّل ما يواجه القارئ في الصّفحة الأولى، إذ أضحى الغلاف "علامة سيميوطيقيّة بصريّة في غاية الأهمّيّة لإغراء القارئ أوّلاً، وإثراء العنوان دلاليّاً ثانياً، ففي الغلاف يحدث ذلك التّنادي والتّراسل بين اللّون والخطّ والتّشكيل، فيتمّ صورنة اللّغة، ولغونة الصّورة، وفي الحالتين يتمّ إخضاع الغلاف للسّمطقة، وجعله علامة برسم التّدليل".[23]

احتوى الغلاف الأمامي لهذه المجموعة على العنوان واسم الكاتب والتّجنيس وصورة الغلاف وإشارة دار النّشر، وتضمّنَ لوحة فنّيّة في الجزء السّفلي منه، وُضعت داخل مربّع، أمّا اسم الكاتب الّذي كُتب باللّغة العربيّة وترأسَ أعلى الصّفحة، فقد كُتب باللّون الأسود ليظهرَ بقوّة ووضوح؛ كونه نقيض الأبيض الّذي طلى الغلاف، والأبيض لون النّقاء والطّهارة، فالأسود يعبّر عن "السّلبيّة المطلقة، حالة الموت التّامّة واللا متغيّرة، الأسود إذن لون الحداد، ليس كما الأبيض، بل بطريقة مفجعة".[24]

أمّا الأبيض "فيمثّل (نعم) في مقابل (لا)، الموجودة في الأسود. إنّه الصّفحة البيضاء الّتي ستُكتب عليها القصّة".[25]

---

[22] زيتوني، د. لطيف: معجم مصطلحات نقد الرّواية، (العنوان).
[23] حسين، د. خالد: في نظريّة العنوان (مغامرة تأويليّة في شؤون العتبة النّصّيّة)، دار تكوين، دمشق، سورية، 2007م، ص164
[24] عبيد، كلود: الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيّتها، ودلالتها)، مجد المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2013م، ص64
[25] عمر، د. أحمد مختار: اللّغة واللّون، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1: 1982، ط2: 1997م، ص185-186.

أدّى اختيار هذين اللّونين وظيفة سيميائيّة، فلم يقف تأثيرهما عند حدود الخلفيّة والعنوان، بل شمل شخصيّات القصص وتماهى مع سماتها، كشخصيّة سيّد حجاب في قصّة (الشّموس السّاطعة)، ذلك البطل الطّاهر النّقيّ الّذي ضحّى واستشهدَ من أجل أن يحيا وطنه.

مثّلَ اللّون الأسود المجتمع الفاسد الّذي لا أمل فيه، فتوافق مع شخصيّة زوج المرأة الوعلة في قصّة (الوعل يقتنص صغيراً)، وشخصيّة رمزي خير اللّه في قصّة (هذا البلد الأمين).

ظهرت جماليّة اللّون الأسود كونه كُتب على خلفيّة بيضاء، أمّا العنوان الّذي كُتب بخطّ عريض بعد الاسم مباشرةً فقد جاء بخطّ كبير وواضح رغبةً من الكاتب في إبرازه وإيضاحه، مكتوباً باللّون الأخضر، لون الخصب والرّزق في اللّغة العربيّة.[26]

فالأخضر لون الحياة والطّبيعة والتّجدّد، وهذا ما عبّرت شخصيّة أميرة في (الصّدع والهجرة)، تلك الفتاة الحالمة بحياة جديدة.

وقد كُتب العنوان بخطّ الثّلث الرّشيق الّذي يلفت نظر القارئ بجماله وانسيابيّته، وبعد ذلك وُضع خطّان متوازيان كُتبت بينهما الإشارة الجنسيّة للدّلالة على نوع العمل (قصص)، وهي أولى بطاقات العبور للقارئ كي يعرف أنّه مُقبل على قراءة مجموعة من القصص، وتمركزت في منتصف الغلاف لتكون بؤرة النّظر للقارئ، أمّا في أسفل الصّفحة فيقع شعار دار النّشر (دار ورد) الّذي جاء باللّون الأسود بحجم صغير للدّلالة على مكان نشر الرّواية، وليكون التّركيز على العمل الإبداعي وليس على دار النّشر.

تعزّزَ الإيحاء الدّلالي للغلاف بوجود لوحة فنّيّة مثّلت نصّاً بصريّاً، فظهرت مؤطّرة بإطار مربّع الشّكل، والإطار يرمز إلى الحدود الّتي لا يمكن للشّخصيّة أن تتجاوزها.

تحتوي اللّوحة على ثلاثة أشكال تبدو أنّها آدميّة؛ الأوّل لامرأة ترتدي فستاناً وتضع غطاء فوق رأسها، وتحمل حقيبة صغيرة، وتلوّح بيديها عالياً في السّماء كأنّها تعلن استقبال حياة جديدة، أمّا الثّاني فهو لرجلٍ تكاد قدماه لا تصلان إلى الأرض لعلّه يحاول الطّيران إلى عالم آخر، أمّا الثّالث فهو رجل عجوز يبدو أنّه متأخّر قليلاً عن الآخرين، أحنت السّنون ظهره، وأثقلت خطواته.

لكلّ شخصيّة من هذه الشّخصيّات حكايتها، فقد أعطت هذه الشّخصيّات الثّلاث ظهرها للحياة منطلقة نحو الفضاء الرّحب، معلنة الهجرة والرّحيل إلى حياة أخرى، بحثاً عن الحرّيّة.

وفي اختلاف الشّخصيّتين الأولى والثّالثة بين الرّغبة في الحياة والإقبال عليها من جهة، والخوف من القادم والمشي بحذر نحوه من جهة أخرى تناقض لافت.

ترمز هذه اللّوحة إلى أبعاد الشّخصيّة الإنسانيّة، وفي تنوّع ألوانها إشارة إلى الانفعالات الغامضة الّتي عاشتها شخصيّات المجموعة القصصيّة.

أمّا **الألوان** فقد لوّنت السّماء بالأزرق وظهر جزءٌ أخضر في الزّاوية العلويّة اليسرى، وتحت السّماء درجة مختلفة من الأزرق يشبه لون البحر، وتحتها لون التّربة البنّي، أمّا الأشخاص فقد طغى على ألوانها الأصفر والبنفسجيّ والأحمر بشكل عشوائيّ.

[26] ينظر، عمر، د. أحمد مختار، اللّغة واللّون، ص79.

فالأحمر الّذي يعدُّ "لون الحبّ الملتهب والتّفاؤل والقوّة والشّباب"[27]، عكسَ شخصيّةَ (أميرة) في قصّة (الصّدع والهجرة)، تلك الفتاة الشّابّة الّتي أحبّت الحياة، وتمنّت أن تسافر مع حبيبها لاكتشاف حياة أخرى، **أمّا البنفسجي** فيرتبط بحدّة الإدراك والحساسيّة والمثاليّة أيضاً، ويرمز إلى الأسى والاستسلام.[28]

وهذا ما نراه في شخصيّة (رمزي خير اللّه) في قصّة (هذا البلد الأمين)، ذاك الرّجل الّذي استسلم للخمر والسّهر، ولتخلّي أسرته عنه.

أمّا السّماء الّتي لوّنت **بالأزرق** الّذي "يحيل إلى عالم الصّفاء، والشّفافيّة والامتداد، فإنّه يحيل من جانب آخر على معاني الفراغ الكثيف والبرودة المطلقة حيث لا هواء ولا ماء، ويقترن بالخيبة والهلاك وارتباط اللّون الأزرق بالبحر الّذي يحيل بدوره على دلالتين: الأولى تحيل على الأمل والحياة، لأنّ الماء هو الحياة، والثّانية تحيل على الموت والعبور إلى العالم الآخر والرّجوع إلى الأصل".[29]

فالأزرق يمثّل شخصيّة فيّاض في قصّة (النّهر الحليبيّ) ذلك الفتى النّقيّ البريء الّذي يعيش جانب الماء (النّهر)، ونتيجة لأحداث محدّدة يشعر أنّه خُلق من جديد.

أمّا **الأصفر** "فقويّ، عنيف، حادّ إلى درجة تمكّنه أن يكون ثاقباً، أو رحباً وباهراً كتدفّق معدن في حالة الذّوبان. الأصفر هو الأكثر دفئاً، الأكثر بوحاً، والأكثر تأجّجاً واتّقاداً بين الألوان، يصعب إخماده أو تخفيفه".[30]

ولاتّصال الأصفر بالبياض وضوء النّهار فقد ارتبط بالتّحفّز والنّشاط، ويمتاز باللّمعان والإشعاع والإيحاء.[31]

فبالأصفر تلوّنت ثياب المرأة الّتي يبدو عليها الحماس في الصّورة، وغالباً هذه المرأة تشبه شخصيّة الزّوجة الجميلة في قصّة (الوعل يقتنص صغيراً) تلك المرأة الّتي أخرجت كلّ ما بداخلها من نشاط وإقبال على الحياة عندما أطلقت العنان لنفسها وشعرت للحظة أنّها أمام الرّجل المناسب.

ومثّلته أيضاً شخصيّة (سيّد حجاب) في الشّموس السّاطعة، فكان شمساً تضيء درب البطولة والشّهادة لكلّ من سيأتي بعده.

أمّا التّراب في أرضيّة الصّورة فقد كان باللّون **البنّي**: أو ما يطلق عليه لون التّربة (اللّون الأسمر) يقع بين الأشقر والأسود، لون الحقول، الصّلصال، ويذكّرنا بالأوراق المتساقطة، وبالحزن، والخريف.[32]

من جهةٍ أخرى "فالبنّي يدلّ على الأهمّيّة الموضوعة على (الجذور): على الأرض والوطن والشّركة من النّوع الخاصّ أو الأسريّ"،[33]لذلك هو لم يكن بنّيّاً بالكامل للدّلالة على عدم تشبّث هذه الشّخصيّات بجذورها، بالإضافة إلى السّمة العامّة الّتي طغت على شخصيّات القصص وهي الحزن والذّبول.

فشخصيّة والد أميرة في قصّة (الصّدع والهجرة) متشبّثة بالأرض وبالعمل والكدح لكنّه حزينٌ على حزن ابنته الحائرة بين إرضاء خطيبها ووالدها.

إنّ تنوّع الألوان في اللّوحة الفنّيّة يوضّح التّنوّع في المواقف والتّجارب الّتي عاشتها شخصيّات القصص.

---

[27] الخفاجي، كريم شلال: سيميائيّة الألوان في القرآن، دار المتّقين، بيروت، لبنان، ط1، 2012م، ص64
[28] ينظر، عمر، د. أحمد مختار: اللّغة واللّون، ص185.
[29] الخفاجي، كريم شلال: سيميائيّة الألوان في القرآن، ص56
[30] عبيد، كلود: الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيّتها، ودلالتها)، ص107
[31] ينظر، عمر، د. أحمد مختار: اللّغة واللّون، ص184.
[32] ينظر، عبيد، كلود: الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيّتها، ودلالتها)، ص126
[33] عمر، د. أحمد مختار: اللّغة واللّون، ص195.

وبعد هذا التّحليل يمكن القول: إنّ الغلاف الأماميّ عتبة ثريّة بالدّلالات، يقدّم بألوانه وخطوطه وصورته تصوّراً أوّليّاً للقارئ عمّا سيحمله المتن.

ثانياً: دراسة العنوان الرّئيس:

1-سيميائيّة اللّغة في العنوان:

أ)المستوى المعجمي: يعدُّ المعجم "لحمة أيّ نصّ كان، ويحتلُّ مكاناً مركزيّاً في أيّ خطاب"[34]، يتألّف العنوان من ثلاثة ألفاظ، جاءت معانيها في المعاجم اللّغويّة كالآتي:

– حكايا: وهي جمع حكاية، فجاء في لسان العرب: "الحِكايَةُ: كقولِكَ حكيتُ فلاناً وحاكيتُهُ فَعلتُ مِثلَ فِعلِهِ أو قلتُ مثلَ قولِهِ سواءٌ لم أجاوِزْهُ، وحكيتُ عنهُ الحديثَ حِكايةً. ابن سيدَهْ: وحكوتُ عنهُ حديثاً في معنى حكيتُهُ. وفي الحديثِ: ما سرَّني أنّي حكيتُ إنساناً وأنّ لي كذا وكذا؛ أي: فعلتُ مثلَ فِعلِه".[35]

وجاء في أساس البلاغة "حكى لي عنهُ كذا. وهوَ يحكي فلاناً ويُحاكيه. وهو حكّاءٌ. وتقولُ العرب: هذه حِكايتُنا؛ أي: لغتُنا. وامرأةٌ حكيٌّ: حاكيةٌ لكلامِ النّاس مِهذارٌ. ومن المجاز: وجهُهُ يحكي الشّمس ويُحاكيها".[36]

فهذه الكلمة تدلّ على مجموعة من القصص الّتي توحي بسرد حكائيّ.

– النّورس: جاء في معجم الحيوان النّورس أو زُمَّج الماء (Gull. Larus): "طائر مائيّ يُعرف في سواحل الشّام باللّورنس والرّورنس، وفي سواحل مصر بالنّورس، قال الدّميري: (النّورس طير الماء الأبيض وهو زُمَّج الماء)، وقال في حرف الزّاي زُمَّج الماء هو الطَّائر الّذي يسمّى بمصر النّورس وهو أبيض في حدّ الحمام أو أكبر يعلو في الجوّ ثمَّ يزجُّ نفسه في الماء ويختلسُ منه السّمك، ولا يقع على الجيف، ولا يأكل غير السّمك... "[37]

فالنّورس طائرٌ مائيّ يرمز إلى التّنقّل والبحث عن مكان جديد كونه طائراً مهاجراً.

– المهاجر: هو اسم الفاعل من هاجَرَ، "الهَجرُ: ضِدُّ الوَصلِ. هَجَرَهُ يهجُرُهُ هَجراً وهِجراناً: صَرَمَه، وهما يهتَجِران ويتَهاجَران، والاسمُ الهِجرَةُ...والهِجرةُ والهُجرةُ: الخروجُ من أرضٍ إلى أرضٍ. والمُهاجِرونَ: الّذين ذَهَبوا معَ النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم، مُشتَقٌّ منهُ".[38]

وقال الأزهري (ت:370هـ) في تهذيب اللغة: "أصلُ المُهاجَرة عند العرب: خروجُ البدويّ من باديتِهِ إلى المدنِ. يُقالُ: هاجرَ الرَّجلُ، إذا فعلَ ذلك، وكذلكَ كلُّ مُخلٍ بمسكنِهِ مُنتقِل إلى دارِ قومٍ آخرين؛ لأنّهم تركوا ديارهم ومساكنَهم الّتي بها نشأوا بها لله، ولحقوا بدارِ قومٍ ليس بها أهلٌ ولا مالٌ حينَ هاجروا إلى المدينة، وكذلك الّذين هاجروا إلى أرض الحبشة. فكلُّ من فارق رِباعَه من بدويّ أو حضريّ وسكنَ بلداً آخرَ فهو مُهاجر، والاسم منهُ الهِجرةُ"[39]

تشير لفظة المهاجر إلى الإنسان الّذي يترك مكانه أو وطنه ويبحث عن مكانٍ آخر فيه الأمان والتّغيير من جهة، ومن جهةٍ أخرى ترتبط بمعاني المهاجر المشتاق إلى وطنه.

---

[34] مفتاح، د. محمّد: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجيّة التّناص)، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1985م، ص61.

[35] ابن منظور، جمال الدّين: لسان العرب، (حكى).

[36] الزّمخشري، أبو القاسم: أساس البلاغة، (حكي).

[37] معلوف، أمين: معجم الحيوان، دار الرّائد العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1908م، (نورس، زُمَّج الماء: Gull, Larus)

[38] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين: لسان العرب، (هجر).

[39] الأزهريّ، أبو منصور محمّد بن أحمد: تهذيب اللّغة، تحقيق: أ. محمّد عبد المنعم خفاجي وَ أ. محمود فرج العقدة، مراجعة: أ. علي محمّد البجاوي، الدّار المصريّة للتّأليف والتّرجمة، ط1، 1964م، (هجر)

إنَّ تتابُع الكلمات شكّلَ حقلاً دلاليّاً للعنوان، يحيل إلى دلالات النّصّ المتعلّقة بالهجرة والرّحلات، والبحث عن الحرّيّة والذّات.

ب) المستوى الصّوتي: إنّ الأصوات الجهريّة في هذا العنوان فهي (ي– ا– ل– ن– و – ر– م– ج) مقابل المهموسة (ح– ك– س– ه).[40]

غلبت على الأصوات صفة الجهر؛ لتعبّر عن الألم الّذي تحمله الكلمات بكلّ قوّة، لإخراج مكنونات الذّات.

أمّا الأصوات الشّديدة هي (ك– ج)، والرّخوة (ح– ا – ي– ل– و – س – ه)، والمتوسطة (ل– ن– م– ر)[41]، فالأصوات الشّديدة نادرة في العنوان وهذا ما يؤكّد طبيعة العنوان السّرديّة الانسيابيّة البعيدة عن الجزم أو التّقرير المباشر، أمّا الأصوات المهيمنة فهي الرّخوة والمتوسّطة، فقد خلقت إيقاعاً يجسّد الحركة والدّيمومة ورحلة النّورس.

أمّا كلمة (النّورس) فتغلب عليها الأصوات القويّة (ن، و، ر، س) الّتي ترمز إلى قوّة هذا الطّائر وقدرته على اجتياز المسافات.

في حين أنّ كلمة (المهاجر) تتراوح أصواتها بين اللّين والقوّة، وهذا ما يجعل الهجرة رمزاً إلى الأمل والحياة الجديدة، وفي الوقت نفسه تُشعِر الإنسان بالحزن والفقد، فهنالك توازن في الدّلالة.

إنّ تنوّع الأصوات في العنوان بين المهموس والمجهور يمنحه إيقاعاً موسيقيّاً وتوازناً في دلالاته.

ج) المستوى النّحويّ: تكوّن هذا العنوان من مبتدأ محذوف تقديره (هذه)، وخبر (حكايا)، وما بعده مضاف إليه (النّورس) وصفة (المهاجر)، فالكلمة الثّانية (النّورس) عرّفت الكلمة الأولى وخصّصتها فجعلتها متعلّقة بـ (النّورس) المعبّر عن الحرّيّة والهجرة، فلولا كلمة النّورس لما استطاع المتلقّي أن يحدّد ماهيّة هذه الحكايا، ثمّ تأتي الصّفة لتوضّح وتصف حالة النّورس المهاجر من وطنه إلى وطن آخر، أو هو دائم الهجرة والاغتراب، ويرمز إلى تجارب وقصص عدّة.

ويمكن تعليل حذف المبتدأ في البنية السّطحيّة؛ لأنّ الكاتب يريد الإسراع في نقل الخبر إلى القارئ وجعله يتساءل عن (هذه) الحكايا، فحذفُ المبتدأ يجعل المتلقّي يركّز اهتمامه على الخبر (حكايا).

إنّ البنية الاسميّة للعنوان تدلّ على الثّبات، وهذا ما يشير إلى ثبات هذه الحكايا في ذهن الكاتب ممّا يدعو لاستقرارها في ذهن القارئ أيضاً.

2–سيميائيّة الدّلالة والصّورة الاستعاريّة في العنوان:

أ)المستوى الدّلالي: إنّ العنوان هو الرّمز الّذي يلج عبره القارئ إلى مكنونات النّصّ، وبوساطة الحقل الدّلاليّ الّذي تشكّل منه العنوان يمكن الوصول إلى النّصّ، والرّبط بين العنوان ومضمون النّصّ، فالّذي يضمن للعنوان دلالته هو علاقته بمتن القصص.

نجد الأديب وقع اختياره على كلمة (حكايا) في البداية، لما لهذه الكلمة من دلالات مرتبطة بمتن النّصّ وهذه الحكايا هي مجمل ما نجده في القصص، فبعد قراءة القصص نجد أنّ كلّ قصّة تحكي حكاية مختلفة عن الأخرى، وكلّ حكاية حدثت في زمان ومكان محدّدين، ثمّ إنّه حاول أن يلمّح دون أن يصرّح، فالنّورس المهاجر هو الكاتب نفسه، كونه قضى حياته مهاجراً خارج وطنه، لكنّه كان يذكر اسم المكان الّذي حدثت فيه الحكايا في نهاية كلّ قصّة، وهذا ما يدلّ على أنّ هذه الحكايا ارتبطت بماضي الكاتب المهاجر، فهنالك علاقة زمكانيّة بين الأماكن الّتي وقعت فيها الحكايا وزمن توثيقها بعد هجرة الكاتب، ومن العبارات الّتي وردت في القصص وارتبطت بألفاظ العنوان هي: "في صدر القوم

[40] ينظر، أنيس، د. إبراهيم، الأصوات اللّغويّة، مكتبة نهضة مصر، مصر، ط2، 1950م، ص24.
[41] ينظر، المرجع نفسه، ص27-29.

تُطوى الحكاية، وفي نفس فيّاض تظلّ ماثلة قربَ شاهدة الطّفل، غير أنّ الحكايا الغريبة تزيد إدراكه..."[42]/ "لتعمر أرض الفستق والسمسم بالبوار. الطّفولة. الهذيان القديم. الأصدقاء. حكايا خرافية من مجد الإنسان"[43]/ "ها أنذا الآن مُرمى فوق تخوم هذا الشّريط، غريب كنورس البحار الخافق..."[44]/ "كلّ الحكايا تعبرُ فوق الشطآن غريبة كنورس البحر النّائح..."[45]/ "ثمّ اندغمت فيما بعد مع آلاف الحكايا فصارت طنيناً..."[46]/ "راح يضرب ويصهل كحصان جموح مقيّد، فاتحاً ذراعيه في أجواء الغرفة لهفاً للهجرة"[47]/ "استمرت الهجرة واستمرّ الدّوي..."[48]

ب) الصّورة الاستعاريّة: جاء تعريف الصّورة البلاغيّةِ في "معجم المصطلحاتِ العربيّةِ في اللّغةِ والأدبِ" أنّها: "كلُّ حيلةٍ لغويّةٍ يُراد بها المعنى البعيد –لا القريب– للألفاظِ، أو يغيّرُ فيها التّرتيبُ العاديُّ لكلمات الجملة أو لحروف الكلمة، أو يحلُّ فيها معنى مجازيٌّ محلّ معنى حقيقيّ، أو يُثار فيها خيالُ السّامع بالتّكنية عن معانٍ يستلزمها المعنى المألوف للّفظ، أو تُرتّبُ فيها الألفاظ، أو يعادُ ترتيبُها لتحسين أسلوبِ الكلامِ أو زيادة تأثيره في نفسِ القارئِ أو السّامعِ"[49]، أمّا الصّورة الواردة في هذا العنوان فهي استعارة، إذ مثّلَ العنوان (حكايا النّورس المهاجر) شيفرة رمزيّة لا يستطيع القارئ فكّها إلّا بعد قراءة النّصّ والتّعمّق فيه، ليكتشف أنّ النّورس المهاجر هو الكاتب حيدر حيدر نفسه، فالعنوان يحمل استعارة تصريحيّة تُعمل خيال القارئ، فقد شبّه الكاتب نفسه بالنّورس المحلّق خارج وطنه، وهجرة الكاتب عن وطنه كانت أشبه بهجرة ذاك النّورس، بحثاً عن الأمان والاستقرار، فحيدر حيدر اغترب ونُفي عن وطنه سورية، وكان مهاجراً حتّى عن ذاته، يبحث عنها في وطنه وخارجه فلم يجدها.

إنّ استحضار صورة ذاك الطّائر المحلّق في السّماء يمنح العنوان عنصراً حسّياً حركيّاً، يوحي بمعاني الانتقال والحركة الدّائمة، غير أنّ الاستعارة كانت وسيلة وأداة تصويريّة للتّعبير عن تجربة الكاتب ونقلت الإحساس بالاغتراب والبعد.

ثالثاً: حوار العنوان الرّئيس والعناوين الفرعيّة:

في هذا الجزء ستتوضّح العلاقة بين العنوان الرّئيس للمجموعة والعناوين الفرعيّة، من خلال تحليل عيّنة مختارة من العناوين الّتي تغطّي الفكر الرّئيسة الّتي يريد الكاتب إيصالها (البحث عن الوطن، والاغتراب، والصّراع الدّاخليّ، والبحث عن الذّات)، وتحمل هذه العناوين دلالات مغايرة تثري البحث، وتضمن عمق التّحليل وتغطيته لأبرز الجوانب في المجموعة من دون الحاجة إلى تحليل العناوين جميعها.

1- شجرة الكرز:

حكاية فلّاح قرّر أن يزرع شجرة كرز في أرض قاسية (الكدّان)، وأصرّ على تحدّي العادات والتّقاليد وزرعَ الشّجرة، وكانت عائلته تدعمه، لكنّ أهل القرية لم يقفوا معه وحاولوا إفشاله؛ لأنّهم اعتقدوا أنّ زراعة الكرز هزيمة لتقاليدهم (فهم لا يزرعون إلّا التّين والصّبّار)، لكنّ الشّجرة اخضرّت ونمت، وضربت شروشها في أعماق الكدّان بثقة، وبعد أشهر من

[42] حيدر، حيدر: حكايا النّورس المهاجر، ورد للطّباعة والنّشر، دمشق، سورية، ط3، 1998م، ص22، قصّة (النّهر الحليبيّ)
[43] المصدر نفسه، ص54، قصّة (الصّدع والهجرة).
[44] المصدر نفسه، ص55، قصّة (الصّدع والهجرة).
[45] المصدر نفسه، ص62، قصّة (الصّدع والهجرة).
[46] المصدر نفسه، ص77، قصّة (هذا البلد الأمين).
[47] المصدر نفسه، ص94، قصّة (الوعل يقتنص صغيراً).
[48] المصدر نفسه، ص108، قصّة (الشّاهد والجمعة الحزينة).
[49] وهبه، مجدي، وَالمهندس، كامل، معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، (الصّورة البلاغيّة، الصّيغة البلاغيّة): Figure.

الأمل سقطت عناقيد الكرز على الأرض واكتشفوا أنّ الشّجرة عقيم، وخُتمت القصّة بعبارة (في أرض الكذّان لا يثمر الكرز).

لقد سعى الكاتب في هذه القصّة إلى إيصال فكرة ضرورة الوجود في المكان المناسب، فشجرة الكرز شجرة مثمرة، لكن عندما قام الفلّاح بتحدّي الواقع وزراعتها في أرض لا تصلح لها لم تثمر، وهكذا الإنسان، ينبغي أن يكون في بيئة مناسبة كي يكون ناجحاً.

لقد ارتبط عنوان القصّة بمضمونها، وهنالك تطابق تامّ بين العنوان ودلالة القصّة، أمّا علاقة عنوان القصّة بالعنوان الرّئيس فتكمن في الإشارة إلى فكرة تغيير المكان إذا شعر الإنسان بعدم التّأقلم، فشجرة الكرز ستثمر في بيئة ملائمة، والإنسان سينجح إذا هاجر كالنّورس وبحث عن أرض تحمله وتناسبه.

فالعنوانان يرمزان إلى عدم الانتماء، وضرورة الوجود في بيئة ملائمة للوصول إلى مرحلة الإثمار، فشجرة الكرز رمز إلى التّجربة الإنسانيّة.

2- النّهر الحليبيّ:

تحكي قصّة فيّاض، ذلك الطّفل الأسطورة الّذي رمته أمّه، فأرضعته غزالة في الصّحراء إلى أن صاده الصّيّادون، وتحدّثوا عن طول ساقيه ونحولهما، فأجرى أحد الأطبّاء عمليّة لساقيه فخفّت حركته، سكن جانب النّهر وأصبحت حكايته تروى كالأسطورة، كان فيّاض سرّاً من أسرار المدينة ومفتاحها، ولم يؤذِ أحداً، لقد كان شاهداً على حوادث مروّعة في ذلك النّهر، وتوالت الانتحارات وهجرة الفتية، وفي اللّيل كان يرى فيّاض أشباحاً تتحرّك، وبقعاً بيضاء تبدو له كحيوانات صغيرة من العلق الأبيض فوق سطح النّهر، وقد تحوّل هذا المنظر بعد ذلك إلى متعة بالنّسبة إليه، وفي هذه الأثناء تحدث هجرة جماعيّة من المدينة فلا يبقى فيها غير الحيوانات، فجأة يتحوّل النّهر إلى واحة من الأجساد الطّريّة الملساء، وتصير الأحلام أرض حياته، وآلاف النّساء وملايين الحمائم تستحمّ في طقس النّهر وتتراشق بقطرات الحليب، فيحسّ فيّاض بنشوة الحرّيّة وكأنّها ولادة جديدة له.

يتقاطع العنوان (النّهر الحليبيّ) مع مضمون القصّة الّتي بدأت بذكر الغزالة الّتي أرضعت فيّاضاً من حليبها حتّى شعر أنّه يعيش في كنف نهر من الحليب الأبيض الّذي يعكس معاني النّقاء والصّفاء والولادة الجديدة.

تتقاطع هذه القصّة مع قصّة (حيّ بن يقظان) من جهة النشأة والتّفاعل مع الحيوانات، ومن ثمَّ محاولة العودة إلى الاندماج مع عالم البشر، ووجود صعوبة ومعاناة في ذلك الاندماج.

ويرتبط عنوان هذه القصّة بعنوان المجموعة، فحاولَ الكاتب أن يمرّر لنا من خلال نصّه حكاية هجرة الإنسان من عالم البشر إلى عالم الحيوانات (الغزال)، للهروب من وحشيّة البشر إلى العطف والرأفة عند الغزال، ومن جانبٍ آخر فكلا العنوانين يشتركان في صفة البحث عن الذّات، فالنّورس المهاجر يبحث عن نفسه أو عن مكان أفضل كونه يجد نفسه وحيداً في وطنه، وكذلك فيّاض يبحث عن ذاته في مدينة غريبة عنه، ولا أحد فيها يفهمه فيخلق عالمه الخاصّ، أمّا النّهر الحليبي فقد رمز إلى التّحوّل من واقع المأساة والحوادث إلى دنيا الأحلام والنّقاء.

3- هذا البلد الأمين:

في حانة من حانات دمشق، يجلس (رمزي خير الله)، ذلك الرّجل المكروه من قبل زوجته وابنته، ويتناول الخمر ويثرثر عن زوجته الّتي خانته ويتخيّلها مع عشيقها، ومن جانب آخر على الضّفّة المقابلة من النّهر تسير امرأتان مثيرتان، وأناس تعبر تحت ضوء القمر.

يتذكّر رمزي ثروة جدّه الزّاهد الّتي هدرها على اللّهو، فاستفاق وإذ به بلا أموال ولا ثروة وزوجته تخون، انتهى من شرب الخمر، وراح يتمايل حتّى احتوته ضوضاء النّهر.

عنوان القصّة هو آية كريمة اقتبسها الكاتب بأكملها اقتباساً نصّيّاً حرفيّاً من سورة التّين لتقوية طرحه، قال تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴿٣﴾

"اختلف المفسّرون هاهنا على أقوال كثيرة فقيل: المراد بالتّين مسجد دمشق. وقيل: هي نفسها... ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾ يعني: مكّة"[50]

وهنا أشار الكاتب إلى أنّ دمشق بالنّسبة لسكّانها هي كمكّة بالنّسبة للمسلمين، مباركة طيّبة، يحنّ إليها كلّ إنسان يبحث عن الطّمأنينة والأمان.

ففي هذا البلد أناس كثر وحكايا لا تنتهي، ومنهم (رمزي) الّذي يجلس في الخمّارة ويحكي حكايته ليسمعها كلّ من حوله، فشعوره بعدم الأمان هو ما دفعه لشرب الخمر والذّهاب إلى الحانة ليجد الأمان في انفصاله عن الواقع، هاجر رمزي من حياة المال والثّروة والنّساء إلى حياة التّشرّد وفقدان العائلة والضّياع في (البلد الأمين) وفي ذلك مفارقة وتناقض، وهذا ما يدفع القارئ للتّفكير في المعنى العميق للأمان، فهل مفهوم الأمان مرتبط بوجود الإنسان في وطنه؟

إنّ مفهوم الوطن الآمن يختلف من إنسان إلى آخر، فكلٌّ يقيس ذلك بحسب تجربته، ومن الممكن أنّ تجربة (رمزي) البائسة المضطّربة كانت دافعاً للبحث عن الأمان في وطنٍ آخر، والهجرة إليه.

4- الوعل يُقتَنص صغيراً:

حكاية رجل وحيد يعود إلى مدينته السّاحليّة بعد غياب طويل، يدعوه صديقه الشّاعر إلى سهرة، إذ تظهر في السّهرة امرأة جميلة بصحبة زوجها القميء، بعد شرب الخمرة بدأ الرّجل يغازلها فلاحظ زوجها الأمر، وبعدها جلست المرأة الجميلة تغنّي بحياء وانكسار مع زوجة الشّاعر، بدأ خجلها يزول وصارت تغنّي أكثر، وهو يرقص على غنائها، وبعد امتعاض زوج المرأة الجميلة طلب منها أن تنسحب فعاد الحزن إلى عينيها، وشعرَ الرّجل بالقهر أنّها ليست له، فتبدّدت السّهرة، وتبدّدت معها كلّ أفراح العالم.

أشار الكاتب في مواطن عدّة إلى أنّ الوعل هو تلك المرأة الجميلة الّتي اصطادها زوجها القميء وهي مازالت صغيرة، لأنّها عندما تكبر وتنضج سيعجز عن قنصها، فعنوان القصّة مرتبط بفحواها.

أمّا العلاقة بين العنوان الفرعي والعنوان الرّئيس فتتوضّح بواسطة التّضادّ بين النّورس الّذي يرمز إلى الحريّة والوعل الّذي اقتنص صغيراً وقُيّد وأُسِرَ، ومن جهةٍ أخرى قد تكون هذه المرأة الجميلة المقيّدة تبحث عن الحرّيّة في عالمها المليء بالقيود كما بحث عنها ذلك الشابّ المهاجر الّذي عاد إلى بلدته بعد غياب طويل.

5- الشّموس السّاطعة:

تتحدّث القصّة عن استشهاد مازن جودت (سيّد حجاب) الفدائيّ الفلسطينيّ بتفجير عبوة ديناميت بعد نفاذ ذخيرته، وقد نتج عن ذلك مقتل عدد من جنود الأعداء.

عاش سيّد حجاب غريباً متنقّلاً بلا وطن، فكان غريباً كالوحش وليس له شمس، جاع وعانى، لكنّه قرّر القتال حتّى الموت، وأضاء بجسده شمساً ساطعة وهوى فدائيّاً متميّزاً وسط الضّجيج والتّرثرة، وبعد استشهاده تذكّره أصدقاؤه وتمنّوا أن يفيق هذا الوطن من كهفيّته الدّهريّة.

[50] القرشي، إسماعيل بن عمر بن كثير تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص2009-2010.

كان سيد حجاب شمساً من الشّموس السّاطعة الّتي أضاءت درب الشّهادة والتّضحية والبطولات، وأنارت الطّريق للأجيال القادمة، لكنّ الكاتب لم يفصح عن ذلك في عنوانه، وفي هذا العنوان استعارة تصريحيّة لن يتمكّن القارئ من معرفة المقصود بها إلّا بعد قراءة المتن.

أمّا العلاقة بين العنوانين فتظهر جليّة وواضحة بالنّظر إلى شخصيّة السّيّد حجاب ذاك النّورس المهاجر الّذي تنقّل بين بلدان عدّة، وعانى وضحّى بروحه، فاستشهاده هو طريق للعبور إلى عالم التّحرّر والإشراق.

الخاتمة:

بعد التّحليل السّيميائيّ للعنونة في (حكايا النّورس المهاجر) خلص البحث إلى النّتائج الآتية:

– لم يكن اختيار حيدر حيدر لعنوان مجموعته القصصيّة (حكايا النّورس المهاجر) اعتباطيّاً، بل كان نصّاً وعتبة رمزيّة مليئة بالدّلالات الّتي تحيل إلى أفكار قصص المجموعة (كالهجرة، والاغتراب، والبحث عن الذّات).

– بعد القراءة البصريّة لغلاف الرّواية بكلّ مكوّناته وألوانه يمكن ملاحظة أنّه شكّل رموزاً سيميائيّة عبّرت عمّا حمله النّصّ من دلالات.

– كانت قصّة (شجرة الكرز) علامة سيميائيّة تحيل القارئ إلى دلالة تؤكّد ضرورة الملاءمة بين الشّخص والمكان الّذي يُوجد فيه؛ للوصول إلى الهدف المنشود، فشجرة الكرز رمز لكلّ إنسان يوضَع في بيئة لا تناسبه.

– تقاطعت قصّة (النّهر الحليبيّ) مع هجرة النّورس، فالكاتب يهرب إلى عالم النّوارس في عنوانه الرّئيس، في حين أنّه يجعل فيّاضاً يهرب إلى عالم الغزلان لعلّه يجد ذاته هناك.

– ارتبط عنوان القصة (هذا البلد الأمين) بالعنوان الرّئيس عبرَ علاقة تناقضيّة، إذ يكشف النّورس المهاجر عن الخيبة والضّياع في دمشق الّتي يُفترض أن تكون البلد الأمين، فيحاول أن يُظهر في ذلك أنّ الأمان ليس بالضّرورة أن يكون في المكان الرّمزيّ المقدّس إذا كانت النّفس ضائعة.

– ظهرت سيميائيّة العنوان في قصّة (الوعل يُقتنص صغيراً) من خلال ثنائيّة التّضاد بين النّورس (رمز الحرّيّة) والوعل (رمز الجمال المقيّد)، فعكست مشاعر القهر الدّاخليّ للشّخصيّة (المرأة).

– أشارت شخصيّة (السّيد حجاب) في قصّة (الشّموس السّاطعة) إلى تقدير قيمة التّضحيات، فهاجر إلى عالم آخر، وكان رمزاً مضيئاً من رموز المقاومة الفلسطينيّة، وشمساً ساطعة تنير دروب الأبطال.

– تكاملت العناوين الفرعيّة مع العنوان الرّئيس على الرّغم من أنّ كلّاً منها تحكي حكاية مغايرة عن الأخرى، ولكن كلّ قصّة روت حكاية من حكايات النّورس المهاجر ووضّحت جانباً من جوانب الهجرة.

– لم تتوقّف الهجرة المقصودة في قصص الكاتب عند الهجرة المكانيّة بل توسّعت كي تكون هجرة زمانيّة من الماضي، أو هجرة روحيّة من النّفس، أو هجرة من الألم والأحزان.

– سيطرت الجمل الاسميّة على العنوان الرّئيس والعناوين الفرعيّة جميعها في المجموعة؛ وهذا ما يدلّ على ثبات ودوام المعاني والأفكار الّتي أراد إيصالها.

References:

[1]- The Holy Qur'an.

[2]- A. Al-Zamakhshari, The Foundation of Rhetoric, edited by Muhammad Basil Ayoun al-Sud, Muhammad Ali Baydoun Publications, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, 1st ed, in Arabic, 1998.

[3]- A. Belabed, Thresholds (Gerard Genette: From Text to Intertext), Arab Scientific Publishers, Beirut, Lebanon, and Ikhtilaf Publications Algiers, Algeria, 1st ed, in Arabic, 2008.
[4]- A. bin Faris bin Zakariya Abu Al-Hussein, Language Measures, edited by Abdul Salam Haroun, Dar Al-Fikr Publishing and Distribution, Beirut, Lebanon, in Arabic, 1979.
[5]- A. Maalouf , Dictionary of Animal, Dar al-Ra'id al-Arabi, Beirut, Lebanon, 1st ed, in Arabic, 1908.
[6]- A. Mukhtar Omar Language and Color, Alam al-Kutub, Cairo, Egypt, 1st ed: 1982, 2nd ed: in Arabic, 1997.
[7]- B. Qatous, The Semiotics of the Title, Ministry of Culture Amman, Jordan, 1st ed, in Arabic, 2001.
[8]- C. Obeid, Colors (Their Role, Classification, Sources, Symbolism, and Meaning), Majd al-Mu'assasat al-Ummiyyah li-Darasa, Publishing and Distribution, Beirut, Lebanon, 1st ed, in Arabic, 2013.
[9]- C. Smith, Encyclopedia of Anthropology, Anthropological Concepts and Terminology, translated by a group of sociology professors under the supervision of Muhammad al-Jawhari, National Center for Translation Cairo, Egypt, Issue: 61/2, 2nd ed, in Arabic, 2009.
[10] F. al-Ahmar,Dictionary of Semiotics, Arab Scientific Publishers, Beirut, Lebanon, and Ikhtilaf Publications Algiers, Algeria, 1st ed, in Arabic, 2010.
[11]- I. Anis Linguistic Sounds, Nahdet Misr Library Egypt, 2nd ed, in Arabic, 1950.
[12]- I. Al-Qurashi, Interpretation of the Great Qur'an, Dar Ibn Hazm, Beirut, Lebanon, 1st ed, in Arabic, 2000.
[13] - J. al-Din Muhammad ibn Makram ibn Manzur al-Ifriqi al-Misri, Lisan al-Arab, by Abu al-Fadl edited by Abdullah Ali al-Kabir, Muhammad Ahmad Hasab Allah, and Hashim Muhammad al-Shadhili, Dar al-Ma'arif Cairo, Egypt, in Arabic, 1980.
[14]- K. Hussein - On the Theory of the Title (An Interpretive Adventure in the Matters of the Textual Threshold), Dar Takween, Damascus, Syria, in Arabic 2007.
[15]- K. Shalal Al-Khafaji,The Semiotics of Colors in the Qur'an, Dar Al-Muttaqin, Beirut, Lebanon, 1st ed, in Arabic, 2012.
[16]- L. Zaytouni, Dictionary of Novel Criticism Terms, Maktabat Lubnan Nasheroun, Dar Al-Nahar Publishing House, Beirut, Lebanon, 1st ed, in Arabic, 2002.
[17]- M. Faiza, The Semiotics of the Title and Its Meaning in the Short Story "The End" by Hafnawi Zaher, as a Model, Educational Magazine, Laboratory for Renewing Research in Arabic Language Teaching in the Algerian Educational System, Faculty of Arts, Languages, and Arts, Djilali Liabes University - Sidi Bel Abbes, Algeria, Issue: 2, Volume: 5, in Arabic, 2015.
[18]- M. Ibn Ahmad al-Azhari, The Refinement of Language, edited by: Prof. Muhammad Abd al-Mun'im Khafagi and Prof. Mahmoud Faraj Al-Aqdah, reviewed by: A. Ali Muhammad Al-Bajawi, Egyptian House for Authorship and Translation Cairo, Egypt, 1st ed, in Arabic, 1964.
[19]-M.Wahba and K. Al-Muhandis Dictionary of Arabic Terms in Language and Literature, Library of Lebanon, Beirut, 2nd edition, in Arabic, 1984.
[20]- R. Rushdi, The Art of the Short Story Anglo-Egyptian Library Egypt, 1st ed, in Arabic, 1995.
[21]- S. Alloush, Dictionary of Contemporary Literary Terms, Dar Al-Kitab Al-Lubnani, Beirut, Lebanon, 1st ed, in Arabic,1985.